شؤون اقتصادية

د. محمد العلي القري*

اقتصاد الأدب وأدب الاقتصاد

ما علاقة الادب والادباء والشعر والشعراء والحال لهم انهم اصحاب قريحة شعر وخيال قصة وعناية بالالفاظ والمعاني اكثر من الحقائق والمعاني ما علاقتهم بعلم الاقتصاد مع ما فيه من جفاف وجفاء وتحريض للنفوس على البخل والشح واتخاذ الارقام سبيل التقبيح والتحسين.. تقول لا علاقة: بل العلاقة وثيقة.

محمد اقبال شاعر الاسلام واديب العالم الذي ترجمت قوافيه للغات كثير وذاعت شهرته في عالمنا العربي بعد ان نقل عبدالرحمن عزام رحمه الله شعره من الفارسية والاردية إلى لغة الضاد، ألف العديد من الكتب لكن اول كتاب الفه كان في علم الاقتصاد لأن ذلك كان تخصصه. واول كتاب الفه آدم سمث امام الاقتصاديين في الغرب كان عنوانه (الشعور الادبي) وموضوعه في الرواية والادب. فهذا اقتصادي بدأ اديباً وذلك اديب بدأ اقتصادياً. ومن منا لا يعرف حافظ ابراهيم شاعر النيل وقصيدته الفذة في رثاء اللغة، وهل نجهل خليل مطران امام زمانه في الشعر والادب. لم يصدر لهذين العملاقين عمل مشترك الا كتاب يتكون من خمسة اجزاء اسمه: (الموجز في علم الاقتصاد) وقد قاما بنقله إلى العربية من الفرنسية بتكليف من وزارة التربية المصرية فترجما هذا الكتاب ونشراه سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، ولا زلت حتى اليوم اطالعه بين الفينة والفينة لاستفيد - ليس من علم الاقتصاد فيه فكل ذلك قد عفا عليه الزمن - ولكن بالادب الراقي والاسلوب الرائع والعبارات الراقصة التي سجلها يراع هذين الاديبين في شرح المفاهيم التجارية وتحليل النظريات الاقتصادية. وما الحقا به من قاموس ترجما فيه المفردات الاقتصادية إلى العربية وكانا في ذلك يؤسسان مصطلحات جديدة في الضاد. اليك انموذجاً من عرضهما لموضوع لايخلو منه كتاب في مبادئ الاقتصاد الا وهو موضوع (تعريف علم الاقتصاد).. (فالاقتصاد علم يضم بين دفتيه جميع السنن العامة التي يجري عليها انتاج الارزاق وتوزيعها وتداولها واستهلاكها وسبيله في معرفة تلك السنن هو الاستقصاء والمراقبة. وهذه السنن لا مشاكلة بينها وبين قواعد الاكتناه. ومن فوائدها انها ترينا على طريق المثال في اي الاحوال يكون العمل منتجاً وما الاسباب التي تربو فيها قيمة النقد او تنقص وما البواعث الاجتماعية التي تؤثر في الاجور والمكاسب. لهذا لا يصلح تعريف الاقتصاد بأنه عادة وعرف بل هو علم بحقيقة معنى العلم وهو بتفصيله قواعد احداث الارزاق وتداولها يعين الناس على الهداية والانتفاع من حيث يقيهم عواقب الخطل ويعصمهم من التخبط في المباحث الكثيرة المؤونة القليلة الجدوى ويصونهم من المعاقدات التي فيها الغبن كما انه يصد اولياء الحكومات عن ركوب الشطط).. ثم يرد الكتاب ما يتهم به علم الاقتصاد بأنه علم الانانية وحب الذات.

لا ينعى على الاقتصاد انه مناف لمكارم الاخلاق بدعوى اقتصاره على البحث في انتاج الارزاق وحركة تداولها ولا صحة لما قيل من انه مذهب للاثراء بل ان فيه متسعاً لكريم الشعور ولئن فاتته الاحاطة بكل شيء ما ذلك الا لأنه جزء لا اكثر من مجموع المعارف العامة وبينه وبين العلوم الاجتماعية ملاءمة وحسن جوار: من هذا انك تجهده يلابس كرائم الشيم تمام الملابسة ولا يناقضها في شيء. ذلك لأن من لوازب قواعده ان كل مجتمع تفشو فيه كرائم الشيم يكون ذا مزايا اقتصادية لا تقبل المنازعة اذ بها ينتج انتاجاً اوفر واجود مع تماسك وتتبع في سير العمل وبها لا يتدفق في تيارات المجازفة وبها يكون اعدل في تقسيم الارزاق واقرار الحقوق لاربابها وبها يحسن التدبير في استهلاك حاجاته وبها يكثر حكماؤه ويقل سفاؤه وبها يألف الصدق في المعاملة ويسكن إلى المشاركة).

لقد نعى حافظ ابراهيم اللغة العربية وكان هذا مستوى الكتب الدراسية في وقته، فكيف لو لكان معنا اليوم.

* أستاذ الإقتصاد الإسلامي في جامعة الملك عبدالعزيز